إمارة طنجة

أول محاولة لإنشاء خلافة خارجية مستقلة

د. سعيد ناجي غالب قائد اسكندر
أستاذ التاريخ الإسلامي المساعد بكلية الآداب
جامعة تعز

ملخص البحث:

يهدف هذا البحث إلى الكشف عن أول محاولة لنشأة خلافة خارجية ظهرت في بلاد المغرب الإسلامي وتحديداً في طنجة بالمغرب الأقصى، وذلك من خلال استعراض الظروف والحيثيات التي ساعدت على نشأة هذه الخلافة، محددين الفضاء الجغرافي والزمني الذي شملته، ومن ثم الحديث عن أسماء خلفاء طنجة، وأبرز الأعمال التي قاموا بها خلال فترة حكمهم حتى نهاية عهد الخلافة، والنتائج التي ترتبت على ظهور هذه الخلافة وتأثيراتها على مستقبل الغرب الإسلامي عامة، مستندين في ذلك كله على استقراء واستنطاق المصادر العربية التي شكلت حجر الزاوية في إنجاز هذا البحث.

مقدمة

ظل الاعتقاد لدى الدارسين والمتخصصين في التاريخ الإسلامي أن أول خلافة ظهرت منافسة لخلافة المشرق السنية الممثلة بالخلافة العباسية كانت هي الخلافة الفاطمية الشيعية التي نشأت بالمغرب أواخر القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي؛ وذلك بعد مبايعة المغاربة لأبي عبيد الله المهدي أول خليفة لهم، سنة 297هـ/909م، ومن ثم جاءت بعدها الخلافة الأموية في الأندلس عندما أعلن عبدالرحمن الناصر نفسه خليفة سنة 316هـ/928م، غير أن المتتبع لمصادر التاريخ الإسلامي بدقة سيلاحظ أن الخلافة الفاطمية لم تكن الأولى التي نافست الخلافة العباسية، ولا الخلافة الأموية في الأندلس فيما بعد، بل إن هناك خلافة أخرى كانت قد سبقتهما، وسبقت ظهور العباسيين أنفسهم، وفي بلاد المغرب أيضا، ألا وهي خلافة طنجة.

فمتى ظهرت هذه الخلافة؟ وما المذهب الذي تبنته؟ وما الفضاء الجغرافي والزماني الذي شملته؟

ولمناقشة هذا الموضوع سنحاول أن نتناوله وفقا للمحاور التالية:

أولا- ظروف وحيثيات نشأة خلافة طنجة.

1- المجال الجغرافي لطنجة 2- وضع طنجة عشية قيام الخلافة.

3- دور قبائل بلاد طنجة في قيام الخلافة. 4- مراسيم إعلان الخلافة.

ثانيا- خلفاء طنجة وإدارتهم لشؤون البلاد.

1- ميسرة المطغري(122هـ/739م). 2- خالد بن حميد الزناتي (122-147 هـ/739-764م).

3- أبو قرة المغيلي وانتقال عاصمة الخلافة إلى تلمسان (148-170هـ /765-786م م).

أولا- ظروف وحيثيات نشأة خلافة طنجة.

إن الحديث عن ظروف وحيثيات نشأة خلافة طنجة؛ يقتضي منا -بالضرورة- أولا التعريف بالمجال الجغرافي لطنجة في أثناء دخول الإسلام إليها، ومن ثم الظروف التي مرت بها حتى إعلان قيام الخلافة بها.

1- المجال الجغرافي لطنجة

نود الإشارة بأننا عندما نتحدث عن طنجة لا نقصد بها المدينة الساحلية الصغيرة التي تقع على البحر المتوسط" الروم" في المغرب الأقصى -إحدى مدن المملكة المغربية اليوم- وإنما كان مفهوم طنجة في العصور الإسلامية الأولى أوسع وأشمل، فتسمى بلاد طنجة، وكورة طنجة، أو ولاية طنجة، وحسب ابن عذاري فولاية طنجة "**تمتد إلى مسيرة شهر**"([1])، وهذا يعني أنها ضمت مناطق وأقاليم كثيرة وصلت خارج حدود المغرب الأقصى الذي تقع طنجة "المدينة" فيه، وهذه الشمولية لمفهوم بلاد طنجة تؤكده بعض الإشارات المصدرية الواردة هنا وهناك، فحملات عقبة بن نافع الثانية التي وصلت إلى أقاصي بلاد المغرب توضح أن حدود بلاد طنجة تبدأ من غربي المغرب الأوسط شرقا، وهو ما نلحظه من نصيحة أبي المهاجر دينار لعقبة بعد فتحه لتاهرت وعزمه التوجه غربا؛ حين قال له:-"**ليس بطنجة عدو لك لأن الناس قد أسلموا، وهذا رئيس البلاد** - يقصد كسيلة- **فابعث معه والياً**"([2])، ومن خلال هذا النص تتبين لنا نقطتان أساسيتان الأولى:- أن كسيلة كان زعيما لمنطقة، تبدأ حدودها من غرب المغرب الأوسط -تلمسان- شرقا، إلى المحيط الأطلسي غربا، يدخل في ذلك – تقريبا- كل نواحي المغرب الأقصى([3])، بما فيها طنجة" المدينة" على ساحل البحر المتوسط في الشمال، وهو ما يمكن أن نسميه بولاية طنجة في تلك المرحلة من العصور الإسلامية المبكرة، وأما النقطة الثانية: فتتمثل بأن المغرب الأقصى بما فيه بلاد طنجة قد سبق أن وصله الإسلام- أو على الأقل سمع به- قبل حملة عقبة هذه، ولا شك أن أبا المهاجر هو صاحب ذلك السبق، خاصة إذا ما علمنا أن أبا المهاجر كان قد ظفر بكسيلة "**وعرض عليه الإسلام فأسلم**"([4])، وذلك بعد معارك دارت رحاها حول مدينة تلمسان، التي كانت في نظر كسيلة خطا أحمر على اعتبار أنها تمثل الخط الحدودي الشرقي لمملكته([5]).

وهكذا يظهر أن مفهوم طنجة كان مفهوما شاسعا يتجاوز المدينة الصغيرة، وهو ما يتجلى بوضوح خلال مراحل الفتح اللاحقة، فهذا موسى بن نصير الذي وضع اللمسات الأخيرة لفتوحات بلاد المغرب، نجده بعد استكمال فتح المغرب الأوسط يرنو بنظره صوب المغرب الأقصى، التي كانت تعرف ببلاد طنجة([6])، فيفتتح السوس الأدنى([7])، وهي البلاد التي خلف طنجة "المدينة الصغيرة"، وجزءاً من طنجة الولاية([8])، التي كانت تتسع لمسيرة شهر حسب بعض الرواة([9])، كما نجد موسى بن نصير بعد إتمامه فتح المغرب الأقصى، يقوم بتعيين نائب له عليه، وهو طارق بن زياد، الذي اتخذ من طنجة مقرا له([10]).

ويخيل إلينا أن ولاية طنجة خلال عهد طارق بن زياد قد توسعت فشملت المغرب الأقصى كله إلى ما وراء السوس الأقصى جنوبا، وامتدت شرقا إلى تلمسان، وهو ما تؤيده بعض الإشارات المصدرية التي تتحدث عن تحركات طارق وتنقلاته في أثناء ولايته على طنجة، بين أضلاع هذا المثلث (طنجة)([11])، (سجلماسة)([12])، (تلمسان)([13])، ومن الشواهد الدالة على تجاوز طنجة لمفهوم المدينة الصغيرة في تلك المراحل، واتساع ذلك المفهوم وشموليته، قيام ميسرة المطغري– بعد أن أسقط الحكم الأموي في طنجة، وبويع بالخلافة– بتعيين أمير على طنجة المدينة هو عبدالأعلى بن جريح الأفريقي([14])، بينما بقى ميسرة الخليفة العام لولاية طنجة كلها التي شملت المغرب الأقصى بمجمله حينها([15])، لا سيما بعد مقتل ابن عبيدالله بن الحبحاب والي السوس الأقصى على يد ميسرة نفسه، وضم ذلك الإقليم إلى سلطانه([16]).

وبناءً على ما سبق يمكننا القول إن المقصود بمفهوم طنجة هي الولاية الكبيرة التي ضمت في طياتها معظم المغرب الأقصى([17])، وليست طنجة "المدينة الصغيرة فحسب"، وإن حدودها الشرقية امتدت إلى مدينة تلمسان([18])، في المغرب الأوسط. فما هي إذن الظروف التي ساعدتها على أن تكون حاضرة لأول خلافة مستقلة في تاريخ المغرب الإسلامي؟

2– وضع طنجة عشية قيام الخلافة

إن الحديث عن الدوافع التي أدت إلى نشأة خلافة طنجة، كأول خلافة في تاريخ المغرب الإسلامي انشقت عن خلافة المشرق؛ يقتضي منا– بالضرورة– الإشارة إلى الوضع العام في بلاد المغرب عموما، والمغرب الأقصى ومركزه طنجة خصوصا، في مرحلة ما بعد الفتوحات الإسلامية لتلك البلاد، حتى يتسنى لنا معرفة المعطيات التي ساعدت على نشأة وقيام هذه الخلافة.

إن المتتبع للوضع العام الذي عاشته بلاد المغرب خلال المحطات الأخيرة للفتح والمرحلة التي تلتها؛ أو ما عرف لدى المؤرخين بـ(عصر الولاة)، سيلاحظ أنه كان سيئاً بشكل كبير([19]). ففي المجال السياسي عم الاستياء الأهالي نتيجة سيطرة القادة العرب واحتكارهم للسلطة دون غيرهم، كما أن قيادة الجيش كانت حصرا على العنصر العربي([20])، وبالإضافة إلى ذلك فإن الفتن السياسية الناجمة عن الصراعات القبلية بين القيسية واليمانية التي شهدتها بلاد المغرب في عصر الولاة؛ قد أدت إلى إضعاف مركز العرب، خصوصاً إذا ما علمنا أن أضرار ذلك الصراع القبلي لم يقتصر على رجال الدولة وقادتها بل تعداه إلى عامة الناس وبسطائهم الذين كانوا –غالبا– ما يحسبون على أحد تلك الأطراف([21]).

وعلى المستوى الاقتصادي: كانت البلاد المغربية تعيش أوضاعا متدهورة بسبب الحروب والمعارك والغزوات المتواصلة التي تعود إلى أيام الفتوحات، وزاد من ذلك التدهور سياسة ولاة بني أمية المتأخرين الذين سعوا بما في وسعهم إلى جمع الأموال والهدايا والتحف وإرسالها إلى الخلفاء في المشرق؛ وهو ما ترتب عليه

إرهاق السكان بالجبايات والضرائب غير الشرعية، التي وصلت – أحيانا– إلى محاولة إعادة فرض الجزية على البربر بعد إسلامهم([22])، وقد بلغ هذا الابتزاز ذروته عندما تولى (عبيد الله ابن الحبحاب) أمر بلاد المغرب، إذ سعى هذا الوالي إلى بذل كل ما في وسعه لإرضاء خلفاء دمشق الذين كانوا "**يستحبون طرائف المغرب ويبعثون إلى عامل افريقية فيبعث لهم البربريات السنيات**"([23])، وبالإضافة إلى ذلك كان خلفاء بني أمية مولعين باقتناء جلود بعض الحيوانات ذات الألوان المميزة التي كانت تتوفر خاصة في بلاد طنجة، وتشير المصادر العربية إلى تلك الأمور بصراحة، فصاحب أخبار مجموعة يذكر " **أن الخليفة وولده كانوا يكتبون إلى عمال طنجة في جلود الخرفان العسلية فتذبح مائة شاة فربما لم يوجد بها جلد واحد**"([24]).

وقد بلغ الابتزاز الاقتصادي من طرف بعض أمراء المناطق وولاتها حدا لا يطاق؛ إذ تذكر الروايات في هذا الصدد أن أمير طنجة عمرو بن عبدالله المرادي مارس بعض السلوكيات الجائرة بحق سكانها، ومنها مثلا أنه: " **أساء السيرة، وتعدى في الصدقات والقسم، وأراد أن يخمس البربر، وزعم أنهم فيء المسلمين، وذلك ما لم يرتكبه عامل قبله، وإنما كانت الولاة يخمسون من لم يؤمن منهم ولم يجب إلى لإسلام**"([25]).

أما بالنسبة للوضع الاجتماعي: فقد كان انعكاسا للوضع السياسي والاقتصادي القائم على عدم التكافؤ، فالعنصر العربي هو المسيطر والمحتكر للوظائف المهمة في المجتمع كالقضاء، وقيادة الجيوش، وإمامة الصلاة([26])، ورغم انخراط البربر في الجيوش؛ فإن عطاءهم كان أقل مما يمنح للجند العربي في الوقت الذي كانوا يتحملون العبء الأكبر ويتقدمون الصفوف في المواجهات والنزالات العسكرية([27])، ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل وصل الأمر ببعض ولاة بني أمية على بلاد المغرب إلى محاولة وشم البربر على أيديهم تمييزا لهم عن العرب، وهو مازاد الوضع تأزما([28])، وجعل السكان البربر يتحينون الفرصة المناسبة لتغيير ذلك الواقع.

وإضافة إلى هذا التدهور فقد شهدت بلاد المغرب خلال هذه الفترة تغلغلا كبيرا للمذهب الخارجي ودعاته الذين رفعوا شعارات العدل والمساواة بين الناس، وعدم حصر السلطة والخلافة بالقرشيين، وعملوا على إقناع المغاربة وقادتهم بضرورة تغيير الواقع السياسي القائم.

وقصارى القول أن الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي عاشتها بلاد المغرب عقب الفتوحات كانت سيئة للغاية، وكان نصيب بلاد طنجة من ذلك التدهور كبيرا كما أظهرت المصادر، الأمر الذي ساعدها على أن تكون القاعدة الرئيسية لانطلاق التغيير، وأهلها لتصبح مركزا للقوى الطامحة للاستقلال عن خلافة المشرق.

3- دور قبائل بلاد طنجة في قيام الخلافة

كان للمعاناة التي نالها البربر خلال عصر الولاة، التي كان لإقليم طنجة قسطه الأكبر منها- كما أوضحنا- أثرها في حمل السكان على محاولة التخلص من حكم ولاة بني أمية، وإدارة شؤون بلادهم بأنفسهم، عبر خليفة يقومون باختياره وفقا لرؤيتهم الخارجية التي كانوا قد اعتنقوها بوساطة زعمائهم، الذين - بدورهم- كانوا قد تلقوا تلك الرؤى عن طريق دعاة المذهب الخارجي المتسللين إلى بلاد المغرب منذ حملات الفتح الإسلامي وفي الفترات اللاحقة([29]).

وتجدر الإشارة إلى أن قبائل البربر وفي مقدمتها قبائل بلاد طنجة كانت قد سعت - قبل إعلانها الاستقلال عن خلافة المشرق- للإلتقاء مع خليفة دمشق حينها هشام بن عبدالملك؛ لعله يتفهم المعاناة والمظالم التي ارتكبها ولاته ضد السكان المحليين من المغاربة، ولا سيما في المغرب الأقصى وتحديداً بلاد طنجة، غير أن وفد زعماء البربر الذي تزعمته قبيلة مطغرة- التي تنتمي جغرافيا إلى بلاد طنجة في المغرب الأقصى- بوساطة قائدها (ميسرة المطغري) لم يجد أذنا صاغية من خليفة دمشق؛ رغم بقائه حدود شهر في عاصمة الأمويين([30])، الأمر الذي أوصل زعماء البربر إلى قناعة بضرورة الانفصال عن المشرق وتأسيس خلافة مستقلة في بلاد المغرب ولو اقتضى ذلك المشروع العمل المسلح وإعلان الثورة لإسقاط الحكم العربي.

وعليه، فإنه بعد عودة الوفد البربري إلى بلاده اندلعت ثورة كبرى بدأت شرارتها الأولى في إقليم طنجة، وشملت بعد ذلك المغرب من أقصاه إلى أدناه؛ ممهدةً الطريق لقيام أول خلافة مستقلة في بلاد المغرب، وقد كان لقبائل إقليم طنجة دور أساسي في قيام هذه الخلافة، ومن أبرز هذه القبائل قبيلة مطغرة([31])، التي اعتنقت المذهب الخارجي([32])، وكان لها قصب السبق في إشعال ثورة سنة 122هـ/739م، وقبيلة برغواطة([33])، ممثلة في زعيمها (طريف) الذي كان من قادة ميسرة الأساسيين([34])، وقبيلة مكناسة([35])، بزعامة (أبي القاسم بن واسول المكناسي)([36]).

وبالإضافة إلى هذه القبائل الكبيرة ساهمت مجاميع أخرى في ظهور هذه الخلافة على رأسها أفارقة طنجة بزعامة عبد الأعلى بن جريج مولى موسى بن نصير، وجموع كثيرة من بربر غمارة ([37]).

وعموما، فقد تمكنت هذه القبائل مجتمعة بزعامة ميسرة المطغري- الذي كان يتميز بالدهاء والشجاعة- من إسقاط حكم بني أمية في المغرب الأقصى، والسيطرة على طنجة، وسبته([38])، ليتم بعدها الإعلان عن ميلاد أول خلافة بربرية مستقلة عن خلافة المشرق، فكيف تمت مراسيم إعلان هذه الخلافة؟

4- مراسيم إعلان الخلافة.

بعد الانتصارات الكبيرة التي حققها ميسرة وقواته على قادة بني أمية في المغرب الأقصى، ذاع صيت الثورة الخارجية وعم بلاد المغرب([39])، وإزاء ذلك اجتمع البربر ورأوا ضرورة اختيار خليفة ليقودهم ويوجههم استكمالا لمشروعهم الاستقلالي المناهض لبني أمية، وتم الاتفاق في نهاية المطاف على تولية ميسرة ومبايعته بالخلافة([40])، ليكون أول خليفة للبربر، وأضفي عليه لقب أمير المؤمنين([41])، وكان هذا الإجراء في التعيين يعد

تطبيقا لمبدأ الخوارج- الذي اعتنقته قبائل البربر حينها- الذي لا يشترط في الإمام أن يكون قرشيا([42])، وبذلك أصبح ميسرة المطغري أول خليفة لجزء من الدولة الإسلامية المستقلة عن خلافة المشرق سياسيا ومذهبيا، متخذاً من طنجة مركزا وعاصمةً لخلافته الجديدة، ليتحقق بذلك حلم البربر في قيام خلافة مستقلة، يحكمها رجل ليس بقرشي، ولا تخضع لبني أمية. فكيف سير هذا الخليفة ومن جاء بعده شؤون خلافتهم الناشئة؟

ثانيا- خلفاء طنجة وإدارتهم لشؤون البلاد

بما أن خلافة طنجة تعد أول خلافة مغربية استقلت عن خلافة المشرق، فحري بنا أن نعرض لها، بشيء من التفصيل، من حيث تاريخ نشأتها، ومؤسسها، والفضاء الجغرافي الذي شملته؟

1- ميسرة المطغري(122هـ/739م)

تأسست خلافة طنجة عقب الثورة التي أشعلها خوارج البربر في إقليم طنجة سنة 122هـ/739م، ومؤسسها رجل بربري ينتمي إلى قبيلة مطغرة ([43])، إحدى قبائل البربر البتر([44])، اسمه ميسرة المطغري([45])، كان قد اعتنق مذهب الخوارج الصفرية على يد الداعية عكرمة بن عبدالله في أثناء قدومه إلى بلاد المغرب، واستقراره في مدينة القيروان([46])، ليعمل على نشره بين أفراد قبيلته.

وعندما قرر البربر اعلان ثورتهم المسلحة ضد ولاة بني أمية بداية سنة 122هـ/739م، كان ميسرة في مقدمة زعماء البربر الذين قادوا المعارك الحربية ضد الولاة العرب، وتمكن بسرعة فائقة من إسقاط مدينتي طنجة وسبتة، لتختتم تلك الجهود بمبايعة من طرف البربر خليفةً لهم كما أسلفنا، وعلى أيٍ فقد بدأ ميسرة المطغري بممارسة مهامه الإدارية خليفةً لبلاد طنجة، ورغم شحة المصادر العربية التي تتحدث عن الأعمال والمنجزات التي تمت في عهد أول خليفة للبربر، إلا أن بعض الإشارات التي وردت هنا وهناك تسعفنا في التعرف على بعض المهام والأعمال التي قام بها ميسرة المطغري خلال فترة بقائه في الحكم، ويمكن حصرها بالأمور التالية:-

أولا: قيامه بتعيين والٍ جديدٍ على مدينة طنجة، وهو عبد الأعلى بن جريج الأفريقي([47])، وكان تعيين ميسرة لعبد الأعلى في هذا المنصب قد جاء نظرا لجهوده وجماعته الأفارقة خلال الثورة لا سيما في أثناء مهاجمة مدينة طنجة وإسقاطها([48]).

ثانيا: إصداره مرسوماً بتعيين (صالح بن طريف)- بعد استيزاره في البداية- والياً على إقليم تامسنا([49])، وأرفقه بكتاب إلى قبائل تلك المنطقة- وعلى رأسها قبائل زناتة- يوصيهم فيه بصالح "**ويصف فضله وعلمه**"([50])، وكان تعيين ميسرة لصالح بهذا المنصب قد جاء أيضا مكافأة له، ولوالده طريف الذي كان من قادته الرئيسيين([51])، في أثناء قيام تلك الثورة.

ثالثا: من الأمور المهمة التي أنجزت خلال فترة حكم الخليفة ميسرة تخليص بقية أجزاء المغرب الأقصى تماما من حكم ولاة بني أمية إذ توجه ميسرة على رأس جيش كبير نحو بلاد السوس الأقصى، وهناك التقى بواليها

الأموي إسماعيل بن عبيد الله بن الحبحاب، ودارت عدة معارك كانت سجالا بين الطرفين في البداية([52])، ثم حسمت الأمور لخليفة طنجة البربري، وتمكن من قتل اسماعيل بن عبيدالله، والسيطرة على السوس الأقصى([53])، وضمها إلى خلافته الجديدة.

رابعا: لم يكتف خليفة طنجة بضم المغرب الأقصى، بل رغب في توسيع خلافته الناشئة؛ إذ يستشف من بعض المصادر أنه كان يطمح بالسيطرة على افريقية، ويطرد بني أمية من بلاد المغرب، ولأجل تحقيق ذلك وجه قواته نحو الشرق، وخاضت هذه القوات عدة معارك مع الأمويين، كان مسرحها المغرب الأوسط تكبدت خلالها جيوش الخلافة الأموية خسائر كبيرة([54])، ورغم أن طموح خليفة طنجة لم يتحقق في الوصول إلى أفريقية وضمها إلى دولته الجديدة، إلا أنه أربك الخلافة الأموية وولاتها ومن تبقى من أنصارهم الذين– حسب ما يظهر– استماتوا في الدفاع عن افريقية حتى لا تسقط بيده، وهو ما نستنبطه من رواية ابن عذاري حين أشار إلى حدوث:" **وقائع بين أهل المغرب الأقصى وأهل افريقية يطول ذكرها**" حسب قوله([55]).

وتجدر الإشارة إلى أن طموح الخليفة ميسرة لم يقتصر بعد السيطرة على المغرب الأقصى على محاولة التمدد شرقاً باتجاه أفريقية فحسب، بل أنه يستشف من بعض الإشارات المصدرية طموحه في ضم الضفة الأخرى لبلاد المغرب،" أي الأندلس" إلى سلطانه، ويظهر ذلك من خلال الثورة التي اندلعت في الأندلس واستنفار البربر هناك للإطاحة بالحكم العربي، ونرجح أن تنسيقاً ما قد تم بين الخليفة ميسرة المطغري في بلاد المغرب، وزعيم ثوار البربر في الأندلس (ابن هدين)([56])، خاصة إذا ما علمنا أن ثوار الأندلس ظلوا يقتدون بميسرة المطغري، ويستلهمون أسلوبه سواء في نزالاتهم العسكرية وطرق المواجهة مع الخصم([57])، أو في خططهم التي رمت إلى إسقاط كبريات المدن الأندلسية وطرد العرب منها([58]).

على أية حال، رغم الجهود الكبيرة، والانتصارات العديدة التي حققها خليفة طنجة على ولاة بني أمية، إلا أن ذلك لا يعني أن الأمور قد استتبت له تماما إذ كان عليه أن يستعد لمواجهة الجيوش التي كان والي افريقية وبلاد المغرب – عبيدالله بن الحبحاب – يجهزها للقضاء على خلافته الناشئة. فكيف تعامل ميسرة مع جيوش ولاة الخلافة الأموية الزاحفة تجاهه؟

رغم الضربات التي أصابت والي افريقية وبلاد المغرب– ابن الحبحاب– الممثلة بسقوط طنجة ومقتل واليه عليها عمر بن عبدالله المرادي، وسقوط مدينة سبتة إثر ذلك، ثم الاستيلاء على بلاد السوس بعد مقتل ابنه إسماعيل الذي كان والياً عليها، وبالتالي خروج المغرب الأقصى كله إلا أنه لم يستسلم، وأخذ يعد العدة لاستعادة الوضع، فشكل جيشا من كبار القيادات العربية وأشراف افريقية بقيادة خالد بن أبي حبيب الفهري([59])، ووجهه صوب المغرب الأقصى للقضاء على الخلافة الجديدة، وقد تقدم خالد فعبر وادي شلف بالقرب من تاهرت([60])، ثم واصل زحفه غربا، حتى ضواحي طنجة، وهناك خرج لملاقاته خليفة طنجة بنفسه، وكانت المواجهة بالقرب من طنجة([61])، وحدثت معارك شديدة انتهت حسب ما تقول المصادر([62])، بعودة ميسرة إلى طنجة وحدوث

خلاف بينه وبين جماعته من البربر انتهى بمقتله([63])، وتعيين خالد بن حميد الزناتي خلفا له([64])، لتنتهي بذلك حياة أول خليفة بربري، لم يبق في الحكم إلا فترة قصيرة، لم تزد عن العام تقريبا، ظل خلالها يصارع في أكثر من جبهة من أجل تأمين خلافته الناشئة.

2- خالد بن حميد الزناتي (122-147 هـ/739-764م)

بعد مقتل الخليفة ميسرة المطغري حدث نزاع بين البربر في من يخلفه، ويظهر أن بعضهم كان قد رأى أن يتولى (أبو سيف الأزدي)([65])، شؤون الخلافة، لكن سرعان ما تم تلافي ذلك الخلاف، وتم الإجماع على مبايعة خالد بن حميد الزناتي ليواصل مهام إدارة الخلافة الجديدة([66]).

وقد عرف خالد بن حميد الزناتي بخبرته السياسية والعسكرية، وهو ما أهله لأن يتولى زمام الأمور بعد مقتل خليفة طنجة الأول، وتجلت تلك الميزات للقائد البربري في ساحات المعارك والحروب التي خاضها للدفاع عن الخلافة الناشئة ضد جيوش الخلافة الأموية، ومن أبرز المواقع التي التقى فيها الطرفان "موقعة الأشراف"([67])، وكانت نتيجتها هزيمة كبيرة للجيش الأموي ومقتل قائده (حبيب بن عبد الرحمن)؛ في أواخر سنة 122هـ وبداية سنة 123هـ([68])/793-740م، ثم تلتها معركة أخرى عرفت بموقعة" بقدورة"([69])، سحق فيها الجيش العربي، فقتل ثلثه، وأسر الثلث، وفر البقية متراجعين إلى افريقية([70])، إضافة إلى مقتل القائد كلثوم بن عياض القشيري([71]) .

وبهزيمة جيوش الخلافة الأموية في موقعتي الأشراف وبقدورة سنة 123هـ/740م، يكون الخليفة خالد الزناتي قد حافظ على استقلال دولته الناشئة، وبالتالي انفصالها تماما عن أية تبعية للمشرق وخلافته منذ ذلك التاريخ.

على كلٍ، فقد تفرغ الخليفة خالد بن حميد الزناتي لإدارة شؤون الخلافة فيما بعد، ورغم أن المصادر لا تمدنا بمعطيات كثيرة عن ما قام به من أعمال فهناك بعض الإشارات نستشف منها عدداً من المهام التي قام بها، وكذا المشكلات التي واجهها خلال فترة حكمه، ومنها على سبيل المثال:

1- جهوده في توسيع حدود خلافته ذات المذهب الخارجي إلى بقية أنحاء بلاد المغرب، يتضح ذلك من خلال رئاسته لحركة الخوارج الصفرية في بلاد المغرب عموماً، واتخاذه من مقر خلافته طنجة مركزا للحركة([72]).

2- إرساله للجيوش المتعاقبة للقضاء على ولاة الخلافة الأموية في أفريقية وعاصمتها القيروان، من ذلك الجيش الذي وجهه بقيادة (عبدالواحد بن يزيد الهواري)، ورغم عدم تمكن الأخير من إسقاط القيروان إلا أنه تمكن في أواسط سنة 124هـ/741م، من ضم طبنة وبلاد الزاب([73])، في المغرب الأوسط إلى سلطان خلافة طنجة.

3- مواجهته لبعض الانشقاقات التي قام بها بعض قادته، إذ تذكر بعض الروايات نشوب خلاف حاد بينه وبين قائد جيشه الذي وجهه إلى افريقية عبدالواحد بن يزيد الهواري، خاصة بعد ادعاء الأخير

الخلافة([74])، مغترا بالانتصارات التي حققها على الولاة العرب في بلاد الزاب وتونس، الأمر الذي رفضه خليفة البربر في طنجة- خالد بن حميد الزناتي- فخلعه وعين بديلا عنه رجلا يسمى " **عبد الأعلى زرزرا- مولى موسى بن نصير** -"([75]).

ويبدو أن الخلاف بين خليفة طنجة وقائده الهواري فضلا عن الهزيمة التي تلقتها جموع الحركة الصفرية بعد ذلك في القرن والأصنام على يد القائد حنظلة بن صفوان الكلبي([76])، نهاية سنة 124هـ/741م، قد أدت إلى تراجع طموحات الخليفة خالد الزناتي وانكفائه في عاصمته طنجة التي أصبحت بعد ذلك معقلا وملاذا مهما للحركة الخارجية الصفرية وأنصارها عموما في كل بلاد المغرب([77]).

4- من الأمور المهمة التي حدثت في عهد الخليفة خالد بن حميد الزناتي هو انفصال أجزاء من المغرب الأقصى عن خلافة طنجة، وتأسيسها كيانات مستقلة، ومنها إمارة بني طريف البرغواطية في إقليم (تامسنا) على سواحل المحيط الأطلسي([78])، التي عاد زعيمها طريف إلى بلده تامسنا بعد مقتل خليفة طنجة الأول ميسرة المطغري([79])، وهناك تمت مبايعته أميراً عليهم سنة 124هـ([80])،/741م، وأما الإمارة الأخرى التي أنشأت لها كياناً مستقلاً؛ فهي إمارة بني مدرار في سجلماسة في أقصى الطرف الجنوبي لبلاد المغرب الأقصى على أطراف الصحراء، سنة 140هـ/ 757م([81]).

وعموماً، رغم المشاكل التي واجهها خالد الزناتي سيما بعد انفصال أجزاء من المغرب الأقصى عن حكمه(إمارة برغواطة، إمارة سجلماسة) استطاع المحافظة على ما تبقى من خلافته الناشئة، وإن كان قد توارى عن الأنظار في السنوات الأخيرة لحكمه، ولا نكاد نعرف عنه شيئا بسبب صمت المصادر عن الحديث عنه، كما أن المصادر لا تسعفنا في تحديد سنة وفاته بدقة، لكننا نرجح أن يكون ذلك قد تم أواخر سنة 147هـ([82])/764م، أو بعد هذا التاريخ بقليل([83])، إذ أن موت خليفة طنجة قد أحدث فراغاً سياسياً كبيراً في المنطقة، كان على قادة البربر عموما وزعماء الحركة الخارجية الصفرية تحديداً ملأه، وهو ما حدث فعلاً، شفيعنا في ذلك انتفاضة بعض قبائل تلمسان – التي كانت تابعة لخلافة طنجة- سنة 148هـ([84])/765م، ومبايعتها للقائد (أبي قرة المغيلي) خليفةً جديداً للبربر، لتتحول منذ ذلك الوقت عاصمة الخلافة من طنجة إلى تلمسان.

3- أبو قرة المغيلي وانتقال عاصمة الخلافة إلى تلمسان(148هـ- 170هـ/765-786م)

نود الإشارة أننا لن نتحدث كثيراً عن الأعمال التي قام بها أبو قرة المغيلي خلال فترة حكمه في تلمسان([85])، وإنما الذي نريد أن نناقشه هنا؛ هو ان اتخاذ أبي قرة المغيلي لتلمسان عاصمة له، لم يكن يعني ولادة إمارة جديدة- منفصلة عن السياق التاريخي- مستقلة في بلاد المغرب الأوسط؛ كما يعتقد بعض الباحثين المهتمين بتاريخ المغرب الإسلامي([86])، فالمتمعن في بطون المصادر سيجد أنها لم تظهر فجأة، وإنما كانت امتداداً طبيعياً لخلافة طنجة التي أنشأها الخليفة ميسرة المطغري، وهناك من الدلائل ما يكفي لتعزيز هذه الرؤية ومنها:

أولا:- إن أبا قرة المغيلي كان أحد القادة العسكريين لخليفة طنجة -خالد بن حميد الزناتي- الذين وجههم للسيطرة على افريقية، إذ تذكر المصادر في هذا الصدد أنه كان القائد لميمنة جيش عبدالواحد بن يزيد الهواري([87])، والظاهر أن أبا قرة كان قد أبلى بلاء حسناً في تلك المواجهات، غير أن الخلافات التي حدثت بين عبدالواحد الهواري، وعكاشة بن أيوب الفزاري حول كيفية دخول القيروان([88])، فضلا عن نزوع الهواري إلى التصرف بمفرده بعيداً عن توجيهات خليفة طنجة، ومن ثم نزوعه إلى إعلان نفسه خليفة([89])، وما ترتب على ذلك من نتائج كان أهمها الهزيمة الكبيرة التي تلقتها تلك القوى على يد حنظلة بن صفوان الكلبي في موقعتي القرن والأصنام([90])، نهاية سنة 124 بداية 125هـ/ 741-742م. مجمل تلك الأحداث- في اعتقادنا- جعلت أبا قرة المغيلي يعود إلى موطنه تلمسان بعد هذا التاريخ ويستقر هناك، ولا نستبعد تواصله مع خليفة طنجة حينها خالد بن حميد الزناتي وتكليف الأخير له بإدارة شؤون منطقته تلمسان.

وعندما وصلت أخبار موت خالد بن حميد الزناتي إلى مسامع أبي قرة المغيلي كان من الضروري أن يتدارس الأمر مع قومه، وبالتالي رأت قبائل تلمسان أنه لا بد من خليفة يواصل المسيرة التي أسسها ميسرة المطغري فكان الإجماع أن يتولى أبوقرة دفة الأمور، لخبرته السياسية والعسكرية فضلا أنه وقومه كانوا على ذات الرؤى الخارجية التي قامت على أساسها خلافة طنجة.

ثانيا:- إن إجماع قبائل البربر وعلى رأسها قبائل تلمسان على مبايعة أبي قرة بالخلافة سنة 148هـ/765م، كان قد تم بعد موت الخليفة خالد بن حميد الزناتي([91])، وهذا الأمر يجعلنا نثق بأن أبا قرة وإن كان يدير منطقته تلمسان قبل ذلك التاريخ، فإنما كان بتفويض من الخليفة خالد الزناتي وبوصفه أميراً وليس خليفة.

ثالثا:- إن مبايعة أبي قرة بالخلافة([92])، يعد نهجا استمراريا للمبدأ الخارجي الذي قامت على أساسه خلافة طنجة؛ الذي لا يعترف بحصر الخلافة بالقرشيين([93]).

رابعاً:- كان نقل عاصمة خلافة طنجة إلى تلمسان - في تقديرنا - أمراً طبيعياً، لاسيما إذا ما علمنا أن حدود بلاد طنجة الشرقية تنتهي بتلمسان([94]) كما أسلفنا، فضلا على أن أبي قرة لم يبتدع ذلك- بغض النظر أنه ينتمي إلى تلمسان- فقد سبق لبعض ولاة بلاد طنجة أيام الأمويين أن تنقلوا خلال إدارتهم لتلك البلاد بين طنجة وتلمسان([95])، وبالإضافة إلى ذلك كله؛ فهناك نقطة في غاية الأهمية اقتضت نقل العاصمة إلى تلمسان تتعلق بالجانب الأمني والعسكري لحركة الخوارج الصفرية عموما، خاصة إذا ما علمنا أن تلك الفترة شهدت توجه العباسيين- لاسيما بعد نجاحهم في التخلص من الإباضية في افريقية والمغرب الأدنى سنة 144هـ/761م - إلى القضاء على معقل الخوارج الصفرية في بلاد طنجة، ولما كانت تلمسان هي الخط الحدودي الذي يفصل افريقية عن بلاد طنجة، فقد كان لزاماً على الخليفة الجديد أبي قرة والحركة الصفرية عموما، أن تجعلها حاضرةً للخلافة، ومركزاً لانطلاق جيوشها لمقاومة ولاة الخلافة العباسية([96]).

خامساً:- رغم أن أبا قرة قد اتخذ من تلمسان في المغرب الأوسط عاصمة لخلافته، لكنه لم يستغن عن عاصمة الخلافة الأولى طنجة؛ فقد كانت عمقه الاستراتيجي الذي يلجأ إليه وقت الضرورة([97]).

سادساً:- من الأمور المهمة التي تجعلنا نعتقد أن مبايعة أبي قرة المغيلي بالخلافة واتخاذه تلمسان عاصمة له، إنما كان امتدادا طبيعيا واستمرار لخلافة طنجة التي بدأت سنة 122هـ/739م، هو تلك النهاية الموحدة لبلاد طنجة المرتبطة بتلمسان ارتباطا عضويا، فبمجرد سقوط بلاد طنجة ومعظم المغرب الأقصى بيد إدريس بن عبدالله سنة 172هـ/788م، لم تتأخر تلمسان عن التسليم للشريف العلوي مباشرة، بداية سنة 173هـ/789م([98]).

وختاماً نستطيع القول؛ إن خلافة أبي قرة المغيلي التي استمرت من سنة 148-170هـ([99])/765-786م، تعد امتدادا وديمومة لخلافة طنجة التي نشأت سنة 122هـ/739م، وإن انتقال العاصمة من طنجة إلى تلمسان كان أمرا طبيعيا اقتضته ضرورات حتمية وفرضته ظروف معينة؛ لمواجهة ولاة بني العباس الذين كانوا يطمحون إلى استئصال حركة الخوارج الذين كانت طنجة والمغرب الأقصى عموما معقلهم الرئيسي وتلمسان البوابة الشرقية للعبور إليهم.

خلاصة البحث

بناء على كل ما سبق، في محاور هذا البحث، فإنه يمكننا الخروج بخلاصة مفادها: أن خلافة طنجة ذات المذهب الخارجي الصفري كانت أول خلافة استقلت في بلاد المغرب الإسلامي عن المشرق وخلافته، وقد استمر عمرها الزمني ما يقارب نصف قرن (122-170هـ/739-786م)، شملت حيزا جغرافيا مهما ضم معظم المغرب الأقصى وجزءًا من المغرب الأوسط، كان أبرز خلفائها ميسرة المطغري، وخالد بن حميد الزناتي، ثم أبوقرة المغيلي الذي في عهده تحولت العاصمة من طنجة إلى تلمسان، التي استمرت حاضرةً للخلافة إلى أن سقطت بيد الأدارسة سنة 173هـ/ 789م، بعد عام تقريبا من دخولهم بلاد طنجة والمغرب الأقصى، لتنتهي بذلك أول خلافة استقلت في تاريخ المغرب الإسلامي عن خلافة المشرق.

وتجدر الإشارة إلى أن خلافة طنجة كانت الفاتحة والبوابة الأولى التي هيأت فيما بعد لاستقلال الغرب الإسلامي كلية وفصله عن المشرق، ذلك أن الفضاء الجغرافي للغرب الإسلامي الذي كان يمثل نصف الدولة الإسلامية وقتها، والذي امتدت حدوده من غربي مصر حتى حدود جبال البرتات جنوب فرنسا، لم يخضع لخلافة المشرق تقريبا، منذ قيام خلافة طنجة بداية العقد الثالث من القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي مع استثناءات مكانية بسيطة([100]).

الهوامش

1 – ابن عذاري (أبو العباس أحمد المراكشي): **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، [تحقيق ومراجعة، أ.س كولان، أليفي بروفنسال]، الدار العربية للكتاب، بيروت، ط3، 1983، ج1، ص.26.

2– المالكي (أبو بكر عبد الله بن محمد) : **رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية** ،تحقيق بشير البكوش، مراجعة محمد العروسي المطوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983، ج1، ص.40.

3 – يسمي أحد الباحثين هذا المجال " المملكة البرنسية" وتشمل حد تعبيره بالإضافة إلى قبيلة أوربة البرنسية – قبيلة كسيلة– مجمل قبائل البرانس الضاربة بالمغرب الأقصى غرب تلمسان. انظر: أحمد الطاهري: **المغرب الأقصى ومملكة بني طريف البرغواطية**، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 2005، ص.34.

4 – ابن عذاري، **البيان المغرب**، م.س، ج1، ص.28–29.

5 – أحمد الطاهري، **المغرب الأقصى ومملكة بني طريف البرغواطية**، م.س، ص.39.

6 – ابن عذاري، **البيان المغرب**، م.س، ج1، ص.5.

7 – ابن عبد الحكم: **فتوح مصر والمغرب**، تحقيق علي محمد عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1995، ص.232–233. وانظر سعد زغلول عبدالحميد الذي يشير إلى أن الكتاب عندما يتكلمون عن فتح طنجة يشيرون إلى السوس الأدنى. انظر: **تاريخ المغرب العربي**، ج1، دار المعارف، الاسكندرية، طبعة 2000، ص.250.

8 – سعد زغلول عبدالحميد ، **تاريخ المغرب العربي**، ج1، م.س، ص.250.

9 – ابن عذاري، **البيان المغرب**، م.س، ج1، ص.26.

10 – ابن عبد الحكم: **فتوح مصر والمغرب**، م.س، ص.233.

11 – يورد بعض الكتاب مفهوم"**طنجة وبلادها**" على المجال الجغرافي الذي كان يديره طارق أثناء ولايته هذه. انظر النويري (شهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب): **نهاية الأرب في فنون الأدب**، [تحقيق حسين نصار، مراجعة عبد العزيز الأهوائي]، ج 24، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 1983، ص.40.

12 – ابن عذاري (أبو العباس أحمد المراكشي): **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، [تحقيق ومراجعة، أ.س كولان، أليفي بروفنسال]، الدار العربية للكتاب، بيروت، ط3، 1983، ج2، ص.5.

13 – ابن عبدالحكم، م.س، ص.233.

14– ابن عبد الحكم، م. س، ص.246، وانظر ابن عذاري، م.س، ج1، ص.52، الذي يسميه"**عبد الأعلى بن خديج**".

15 – أحمد عزاوي: **مختصر في تاريخ الغرب الإسلامي**، ج1، مطبعة ربا نت، الرباط، الطبعة الثانية، 2009، ص.10.

16– ابن خلدون(عبدالرحمن): **العبر وديوان المبتدأ والخبر**، ج6، مؤسسة جمال للطباعة والنشر بيروت، 1979، ص.119.

17 – ابن عذاري، **البيان المغرب**، ج1، ص.5.

18 – تقع تلمسان في المغرب الأوسط وموقعها هذا جعلها تحظى بأهمية كبرى في عصور الإسلام الأولى إذ كانت تمثل صلة وصل بين مختلف أنحاء بلاد المغرب شرقه وغربه حتى أطلق عليها البعض قفل بلاد المغرب، وذلك لضرورة المرور منها سواء للداخل إلى بلاد المغرب الأقصى أو الخارج منها، وبالإضافة إلى موقعها الذي يربط بلدان المغرب عموما، فإنها كانت تتوسط قبائل زناتة كلها وهو الأمر الذي ساعدها لأن تصبح عاصمة مملكة زناتة ودار ملكهم، وقاعدة المغرب الأوسط بشكل عام. انظر: البكري (أبو عبيد عبدالله بن عبد العزيز)، **المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب**، باريس، طبعة 1965، ص.76، الشريف الإدريسي (أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله): **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، مج1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1994، ص.250، الحميري (محمد بن عبد المنعم): **الروض المعطار في خبر الأقطار**، تحقيق إحسان عباس، مكتبة الثقافة، لبنان، ط2، 1984، ص. 135

19– لمن أراد معرفة تفاصيل أكثر حول ذلك الوضع يمكنه الرجوع إلى الفصل الأول من الباب الثاني من أطروحتنا للدكتوراه الموسومة بـ"**حركة الخوارج الصفرية في المغرب الإسلامي ما بين القرنين2–4هـ/ 8–10م**، جامعة ابن طفيل، القنيطرة، المملكة المغربية، اكتوبر 2009.

20 – بلغ الأمر ذروته أثناء ولاية عبد الله بن الحبحاب، فقد اعتبر هذا الوالي البلاد وكأنها ملك خاص له ولذويه، فبينما اتخذ من القيروان مقرا له، استعمل على طنجة وما والاها من البلاد ابنه إسماعيل، ثم عمر بن عبد الله المرادي، وبهذا التقسيم يكون قد همش العنصر المحلي من المشاركة في صنع القرار، ومن ثم حرمانه من حقوقه السياسية، كما أن ابن الحبحاب استمر في حملاته التوسعية العسكرية وغزواته التي وصلت السوس الأقصى وبلاد السودان فأرعبت السكان . انظر الرقيق : (أبو إسحاق إبراهيم بن القاسم)؛ **تاريخ أفريقية**

والمغرب، [تحقيق عبد الله علي الزيدان، عز الدين عمر موسى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1990، ص. 72 + ص.78، ابن عذاري، م.س، ح1، ص.51.

21 – حسين مؤنس: **ثورات البربر في افريقية و الأندلس** ، مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة ، المجلد العاشر، الجزء الأول ، مايو 1948ص.150.

22 – الطبري: **تاريخ الأمم والملوك**، ، مج 4، ص.97، ابن خلدون، م.س، مج4، ص.188، إبراهيم القادري بوتشيش: **علاقة الخلافة الإسلامية بمنطقة سوس إبان عصر الخلافة، قراءة وملاحظات**، أعمال ندوة أكادير الكبرى، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة ابن زهر – أكادير – ط1، 1990، ص.58.

23– ابن عذاري ، م.س، ج1، ص.52.

24– مؤلف مجهول: **أخبار مجموعة في فتح الأندلس**، منشورات دار أسامة، دمشق ،[بدون تاريخ طبع].ص.31–32، ويذهب الطبري إلى أنهم كانوا "**يقتلون ألف شاة في جلد**". انظر (أبو جعفر محمد بن جرير)، **تاريخ الأمم والملوك**، [راجعه وصححه وضبطه نخبة من العلماء الأجلاء]، ج5، مؤسسة العلمي للمطبوعات، [بدون تاريخ طبع]، ص.155.

25– الرقيق، م.س، ص.73، وقارن ابن عذاري، م.س، ج1، ص.51– 52 الذي يورد النص مع بعض الاختلافات.

26– مصطفى أبو ضيف أحمد، **أثر القبائل العربية في الحياة المغربية**، ج1، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 1986، ص.112.

27– يظهر ذلك من خلال فحوى الشكوى التي تقدم بها البربر إلى خليفة دمشق. انظر الطبري، م.س، ج5، ص.254، وابن الأثير (عزالدين أبو الحسن علي بن محمد عبد الواحد الشيباني): **الكامل في التاريخ**، مج3، دار الفكر، بيروت، 1978، ص.47.

28 – قام بهذا الأمر الوالي يزيد بن أبي مسلم، وهو ما أدى إلى قيام البربر باغتياله. للمزيد يمكن مراجعة: ابن عبد الحكم، **فتوح مصر والمغرب**، م.س، ص.242، البلاذري (أبو العباس أحمد بن يحيى بن جابر): **فتوح البلدان**، تحقيق عبدالله أنيس الطباع، مؤسسة المعارف، بيروت، 1987، ص.324، الرقيق، **تاريخ افريقية والمغرب**، م.س، ص.64، ابن عذاري م.س، ج1، ص.48.

29 – للمزيد من الإطلاع على كيفية انتشار مذهب الخوارج بين زعماء القبائل البربرية يمكن العودة إلى الباب الثاني من أطروحتنا للدكتوراه السالفة الذكر.

30 – بعد أن يئس وفد قبائل البربر من مقابلة خليفة دمشق ترك عريضة لدى حاجبه الأبرش دون فيها أسماء أعضاء الوفد وبين في تلك العريضة ما يعانيه البربر من ولاة بني أمية في بلاد المغرب على مختلف النواحي السياسية والاجتماعية والاقتصادية. للمزيد حول ما جاء في تلك العريضة يمكن العودة إلى الطبري، م.س، ج5، ص.254، ابن الأثير ، م.س، مج3، ص.47.

31– تنتمي قبيلة مطغرة إلى بطون فاتن بن ضريسة البترية، وكان جمهور منهم بالمغرب الأقصى على عهد الفتح الإسلامي ساهموا في فتح الأندلس مع طارق بن زياد وجازت منهم أمم إليها بعد ذلك واستقرت بها كما شملت مواطنهم المنطقة الممتدة ما بين فاس وسجلماسة واستقر بعض رؤوسهم بنواحي سجلماسة، ومنهم أوزاع بأعمال المغرب الأوسط وافريقية . انظر: ابن خلدون، م.س، ج6، ص.118–120، عبد الوهاب بن منصور، **قبائل المغرب**، ج1، المطبعة الملكية، الرباط ، 1968، ص.310.

32 – كانت هذه القبيلة قد اعتنقت المذهب الخارجي بواسطة زعيمها ميسرة الذي كان قد ارتحل إلى القيروان وتعلم مبادئ المذهب على يد عكرمة بن عبدالله مولى بن عباس، حتى صار مقدما في الخارجية، ليعمل بعد ذلك على نشره بين أفراد قبيلته. راجع في هذا الصدد: ابن خياط (خليفة بن خياط): **تاريخ خليفة بن خياط**، [تحقيق أكرم ضياء العمري]، دار الطيبة، ط3، 1985، ص.353، ابن القوطية: **تاريخ افتتاح الأندلس**، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، ط2، 1989، مج2، ص.39، ابن عذاري، م.س، ج1، ص.52، ابن خلدون، م.س، ، ج6، ص.119، ابن تغري (جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي): **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1992، ص.368، الناصري ، م.س، ج1، ص.140.

33 – تركزت بطون هذه القبيلة في المغرب الأقصى وخصوصا في "**بسائط تامسنا وريف البحر المحيط من سلا وأزمور وأنفي وأسفي**" كما يقول ابن خلدون، وهي المنطقة الشمالية الغربية من المملكة المغربية اليوم تقريبا. انظر ابن خلدون، م.س، ج6، ص.207.

34– ابن عذاري، م.س، ج1، ص.57، الناصري، م.س، ج1، ص.151.

35 – كانت مواطنهم الأصلية على منابع وادي ملوية بجبال الأطلس المتوسط، وتوزعوا في المغربين الأقصى والأوسط، وباسمهم سميت مدينة الحالية في المملكة المغربية، ولا تزال بقايا هذه القبيلة موجودة اليوم في منطقة تازة شرق مدينة فاس. انظر عبد الوهاب بن منصور، **قبائل المغرب**، م.س، ج1، ص.312.

36– حافظي علوي حسن: "**مادة بني واسول**" **معلمة المغرب**، ج5، الجمعية المغربية للتأليف والنشر، مطابع سلا، 1992، ص.1583..

37- البكري ، م.س، ص.135، ابن خلدون، م.س، ج6، ص.207+ 210، السيد عبد العزيز سالم، **المغرب الكبير**، دار النهضة العربية، بيروت، 1981، ص.304.

38- ابن خياط، م.س، ص.353، ابن عبد الحكم، م.س، ص.246، البكري ، م.س، ص.135، ابن عذاري، م.س، ج1، ص.52، ابن خلدون، م.س، ج6، ص.207+ 210، السيد عبد العزيز سالم، **المغرب الكبير**، م.س، ص.304.

39- يذكر صاحب **أخبار مجموعة** انتشار الثورة قائلا:" **فهب كل قوم من البربر على من يليهم فقتلوا وطردوا** ". انظر مؤلف مجهول، م.س، ص. 29.

40- ابن عبد الحكم، م.س، ص.246، ابن عذاري، **البيان المغرب**، م.س، ج1، ص.53، النويري، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، م.س، ج24، ص.60، الناصري (أحمد بن خالد): **الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**، ج1، تحقيق أحمد الناصري، منشورات وزارة الثقافة والاتصال، الرباط، 2001، ص.141.

41- الناصري ، م. س، ج1، ص.141.

42- نفسه، نفس الصفحة

43- الرقيق، م.س، ص. 73 ابن عذاري ، م.س، ج1،ص. 52.

44- تنتمي قبيلة مطغرة إلى بطون فاتن بن ضريسة البترية، وكان جمهور منهم بالمغرب الأقصى على عهد الفتح الإسلامي ساهموا في فتح الأندلس مع طارق بن زياد وجازت منهم أمم إليها بعد ذلك واستقرت بها كما شملت مواطنهم المنطقة الممتدة ما بين فاس وسجلماسة واستقر بعض رؤوسهم بنواحي سجلماسة، ومنهم أوزاع بأعمال المغرب الأوسط وافريقية . انظر ابن خلدون، م.س، ج6، ص.118-120.عبد الوهاب بن منصور، م.س، ص.310.

45- تطلق عليه بعض الروايات ميسرة الحقير، وميسرة الخفير، وميسرة الفقير، إلى غير ذلك من الألقاب التي حاولت أن تصغر من شأنه، ولكنه في الحقيقة كان رجلا ذا شأن وزعيما لقبيلته مطغرة. انظر في هذا الصدد ابن خياط، م.س، ص.353، ابن القوطية، م.س، مج2، ص.39، ابن عذاري، م.س، ج1، ص.52، ابن خلدون ، م.س، ج6، ص.110-119، الناصري، م.س، ج1، ص.140.

46- ابن القوطية، م.س، مج2، ص.39، الناصري ، م.س، ج1، ص.140.

47- ابن عبد الحكم، م. س، ص.246، وانظر ابن عذاري، م.س، ج1، ص.52، الذي يسميه"**عبد الأعلى بن خديج**".

48- يذكر ابن خياط "**إن عبد الأعلى بن خديج هو الذي هاجم طنجة وقتل واليها عمرو بن عبد الله العبسي وسبي نساءه**". انظر **تاريخ خليفة**، م.س، ص.353.

49 – تقرأ تامسنى عند البكري، ويكتبها الأوربيون Tamosna وفي خريطة المغرب الأركيولوجية التي نشرها احمد المكناسي (تمسنة). انظر عثمان عثمان اسماعيل:**تاريخ شالة الإسلامية**، دار الثقافة، بيروت، 1975، ص.26، وتامسنا: كلمة بربرية بلهجة زناتة ومعناها البسيط الخالي، وتشمل الأراضي الممتدة على ساحل المحيط من الرباط الحالية إلى ما وراء الدار البيضاء وحتى مصب وادي أم الربيع، وفي أغلب الروايات من سلا إلى أم الربيع. راجع محمد الطالبي، ابراهيم العبيدي: **البرغواطيون في المغرب**، تانسيفت، الرباط، ط1، 1999، ص.80، ورجب محمد عبد الحليم: **دولة بني صالح في تامسنا بالمغرب الأقصى**، دار الثقافة للنشر والتوزيع،[بدون مكان النشر، وبدون تاريخ طبع]، ص.29.

50 – ابن الخطيب (لسان الدين ابن الخطيب): **أعمال الأعلام**، ج3،[تحقيق وتعليق أحمد مختار العبادي، محمد إبراهيم الكتاني]، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1964، ، ص.181.

51- البكري، م.س، ص.135، ابن خلدون، م.س، ج6، ص.207.

52- البكري، م.س، ص.135، ابن خلدون، م.س، ج6، ص.207.

53- ابن خلدون، م.س، ج6، ص.119.

54-يستشف ذلك من خلال أسلوب العنف الذي اتبعه عبيدالله بن الحبحاب مع أمير تلمسان؛ بعد اتهامه وسكان المنطقة بالتعاون مع جيوش خليفة طنجة أثناء تلك المواجهات التي ألحقت الهزائم بجيوش الخلافة الأموية. انظر ابن عبد الحكم، م.س، ص.246، ابن خياط، م.س، ص. 353.

55 – انظر **البيان المغرب**، م.س، ج1، ص.52.

56- **أخبار مجموعة**، م.س، ص.38.

57- نفسه ، ص.40.

58- **أخبار مجموعة**، م.س، ص.38.

59- ابن عبد الحكم، م.س، ص.246، الرقيق، م.س، ص.74، ابن عذاري، م.س، ج1، ص. 53، الناصري، م.س، ج1، ص.141.

60- ابن عذاري، م.س، ج1، ص.53.

61- نفسه، نفس الصفحة.

62- الرقيق، م.س، ص.74، ابن عذاري ، م.س، ج1، ص.53.

63- ابن عبد الحكم، م. س، ص.246، ابن عذاري، م.س، ج1، ص.53، وتجدر الإشارة أن البعض- سعد زغلول عبد الحميد، محمود اسماعيل- حاول تفسير قتل البربر لخليفتهم بسبب تراجعه إمام الجيوش العربية، وعدم استماتته في القتال، بينما أرجع حسين مؤنس ذلك إلى الغرور الذي أصاب ميسرة بعد تحقيقه بعض الانتصارات على الولاة العرب، وعندما عاد إلى طنجة أساء السيرة بين قومه، وأصبح يتخذ قراراته دون استشارتهم، ولكن السبب الرئيسي- في تقديرنا- استنبطناه من إشارة يتيمة أوردها ابن خياط ص. 353، يتحدث فيها عن قيام ميسرة باغتيال واليه على طنجة" عبد الأعلى بن حديج الرومي الإفريقي"، وهذا هو السبب الحقيقي الذي دفع البربر إلى قتل ميسرة، كون ذلك التصرف غير مبرر، لا سيما بعد الدور الكبير الذي قام به عبد الأعلى وجماعته الأفارقة أثناء الثورة وإسقاط مدينة طنجة من يد الأمويين. انظر سعد زغلول، **تاريخ المغرب العربي**، م.س. ج1، ص.279، محمود إسماعيل: **الخوارج في بلاد المغرب**، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1985، ص.63، حسين مؤنس، **ثورات البربر**، م.س، ص.169، وانظر كذلك الباب الثاني من أطروحتنا للدكتوراه السالفة الذكر.

64- الرقيق، م. س، ص.74، ابن عذاري، م.س، ص 53، وقارن ابن عبد الحكم الذي اختلط عليه الأمر وقال إن الذي تولى خلفا لميسرة هو عبد الملك بن قطن المحاربي، والمعلوم أن ابن قطن كان واليا على الأندلس بعد عزل الحجاج بن عقبة، انظر **فتوح مصر والمغرب**، م.س، ص.246.

65- ابن خياط، م.س، ص.354.

66- الرقيق، م. س، ص.74، ابن عذاري، م.س، ص. 53.

67- سميت بالأشراف نظرا لسقوط كبار فرسان العرب وقادتهم المشهورون فيها، ولاسيما أن جماعة منهم كانت تفد إلى الخليفة هشام بالمشرق بغنائم بلاد المغرب، وتجدر الإشارة أن الخليفة هشام قد غضب غضبا شديدا بعد أن وصلته أخبار تلك الموقعة، وتقول المصادر أنه أقسم يمينا لينتقمن من البربر وليبعثن إليهم بـ" **جيشا أوله عندهم وآخره عندي**"على حد تعبير ابن عذاري " انظر **البيان المغرب**، م.س، ص.54، الرقيق، **تاريخ افريقية والمغرب**، م.س، ص.75.

68- ابن خياط، م.س، ص.353.

69 - **أخبار مجموعة**، م.س، ص.32، وقارن ابن القوطية، م.س، مج2، ص.40، الذي يسميه نفدورة، وهذا المكان يقع على أحد أودية طنجة، يسميه البعض وادي سبو. انظر خليفة ابن خياط، م.س، ص.354، ابن عذاري، م.س، ج1، ص.55، النويري، م.س، ج24، ص.61، الناصري، م.س، ج1، ص.145.

70- **أخبار مجموعة**، م.س، ص.34.

71- ابن خياط، م.س، ص 355، ابن عذاري، م.س، ج1، ص.55.

72- خليفة بن خياط، م.س، ص.355.

73- ابن خياط، م.س، ص.355، ابن عبد الحكم، م.س، ص.250.

74- ابن عبد الحكم، م.س، ص.250.

75- خليفة بن خياط، م.س، ص.355.

76- الرقيق، م.س، ص.85، النويري، م.س، ج24، ص.62-63.

77- النويري، م.س، ج24، ص.76.

78- امتدت حدود هذه الإمارة بين نهر أم الربيع جنوبا ونهر سلا شمالا، ومن البحر المحيط غربا حتى جبال فازاز (الأطلس المتوسط شرقا). انظر أحمد عزاوي، **مختصر الغرب الإسلامي**، ج1، م.س، ص.78.

79 - نعتقد أن طريفاً كان معترضا على مقتل الخليفة ميسرة المطغري، خاصة إذا ما علمنا أنه كان من المقربين منه، فضلا على أن مبايعة خالد بن حميد خليفة لميسرة، قد قضى على طموح طريف الذي ربما كان يرى في نفسه الأهلية لتولي ذلك المنصب، لا سيما وقد شارك بجهد كبير مع قبيلته برغواطة في إسقاط حكم العرب. انظر ابن عبد الحكم، م.س، ص.246، البكري، م.س، ص.135.

80 - ابن عذاري، م.س، ج1، ص.56.

81 - البكري، م.س، ص.148.

82- انظر الشيخ داوود بن يوسف سليمان:**دولة بني يفرن الأباضية في تلمسان**، مقال في **مجلة الأصالة**، وزارة التعليم العالي والشؤون العلمية، الجزائر، السنة الرابعة، العدد 26، 1975، ص.112.

83 - ابن خلدون(عبدالرحمن): **العبر وديوان المبتدأ والخبر**، مج7، ص.12

84- ابن خلدون، م.س، مج7، ص.12.

85 - لمن أراد الاطلاع أكثر يمكن العودة إلى حياة عمامو: **أسلمة بلاد المغرب إسلام التأسيس من الفتوحات إلى ظهور النحل**، دار أمل للنشر والتوزيع، صفاقس، 2004، ص. 101-104، وانظر كذلك الفصل الثاني من الباب الثالث في أطروحتنا للدكتوراه.

86 - حياة عمامو: **أسلمة بلاد المغرب إسلام التأسيس من الفتوحات إلى ظهور النحل**، دار أمل للنشر والتوزيع، صفاقس، 2004، ص. 101-104.

87- الرقيق، م.س، ص.80، ابن عذاري، م.س، ج1، ص.58، النويري، م.س، ج24، ص.62.

88- الرقيق، م.س، ص.80، النويري، م.س، ج24، ص.62.

89- ابن عبد الحكم، م.س، ص.250.

90- ابن عبد الحكم، م.س، ص.251، الرقيق ، م.س، ص.85، ابن الأثير، م.س، مج4، ص.224.

91 - يشير ابن خلدون أنه بعد موت خالد الزناتي بايعت زناتة أبوقرة المغيلي، ومعلوم أن ذلك تم سنة 148هـ/765م، الأمر الذي يجعلنا نميل إلى أن موت خالد بن حميد الزناتي قد يكون في ذلك التاريخ أو قبله بقليل. انظر: **العبر وديوان المبتدأ والخبر**، م.س، مج7، ص.12

92 - ابن خلدون، م.س، مج7، ص.12، الناصري، م.س، ص.181.

93 - الناصري، م.س، ص.141.

94 - أحمد عزاوي: **مختصر الغرب الإسلامي**، ج1، ص.10، هامش 2.

95 - نقصد بذلك طارق بن زياد. انظر ابن عبدالحكم، م.س، ص.233.

96 - يتجلى ذلك من خلال الحروب العديدة التي خاضها الخليفة أبوقرة مع قادة وولاة الدولة العباسية في بلاد المغرب، بداية مع الأغلب بن سالم التميمي، ومرورا بعمرو بن حفص بن قبيصة الملقب"هزارمرد" والحصار الذي ضرب على عمرو في طبنة وبلاد الزاب، ثم حروبه مع المهنا بن المخارق بن غفار الطائي، وختاما في الحصار الكبير الذي فرض على القيروان سنة 153هـ/770م، ليتراجع بعدبها أبو قرة إلى موطنه تلمسان، ولا شك أن كثرة الحروب التي خاضها ضد ولاة بني العباس قد أرهقته وشتت جموعه، ولا نستبعد أن يكون قد تعرض لضربات موجعة في عهد يزيد بن حاتم الذي شتت جموع الخوارج في بلاد المغرب كله حسب ماتقول الروايات، الأمر الذي جعله يتوارى عن الأنظار، وربما فضل الاستقرار بمقر خلافته تلمسان إلى أن مات، ويرجح أن وفاته كانت مع ظهور دولة الأدارسة سنة 172هـ/788م، حيث نجد خليفته محمد بن خزر يسلم تلمسان سنة 173هـ/789م، إلى إدريس الأول بدون مقاومة تذكر. انظر ابن عذاري، م.س، ج1، ص. 74- 85؛ ابن خلدون، م.س، ج6، ص.112. النويري، م.س، ج24، ص.76-81، عبد الله العروي: **مجمل تاريخ المغرب**، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء ، ط2، 2000، ج2، ص.26، حياة عمامو: **أسلمة بلاد المغرب إسلام التأسيس من الفتوحات إلى ظهور النحل**، ص. 101-104، وانظر كذلك الفصل الثاني من الباب الثالث في أطروحتنا للدكتوراه.

97- يظهر ذلك أثناء بعض المواجهات العسكرية مع قادة الخلافة العباسية، والتي كانت تجبره أحيانا إلى مغادرة تلمسان والتوجه نحو طنجة والمغرب الأقصى لإعادة ترتيب قواه من جديد. انظر ابن خلدون، م.س، مج7، ص.12، النويري، م.س، ج24، ص.76.

98- حياة عمامو: **أسلمة بلاد المغرب إسلام التأسيس من الفتوحات إلى ظهور النحل**، م.س، ص.102.

99- يرجح الأستاذ عبدالله العروي أن وفاته كانت في هذا التاريخ. انظر **مجمل تاريخ المغرب**، م.س، ج2، ص.26.

100- نقصد بذلك إمارة بني الأغلب في افريقية التي ظلت تتبع العباسيين ولو شكليا عبر الدعاء لخليفة بغداد.